محمد حسنين هيكل ، **الطريق الى رمضان ،**
(دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٥)

هذا كتاب اخر عن حرب رمضان التي يسميها الصهيونيون « حرب يوم الغفران » ، والتي يسميها بعض العرب حرب اكتوبر ، او حرب تشرين ، او حرب ١٩٧٣ . ولعل الكتاب الجديد هو افضل ما صدر عن هذه الحرب من كتب حتى الان لثلاثة اسباب مهمة :

اولا : لاهمية المؤلف ، فهو محمد حسنين هيكل . هيكل الصديق المقرب من عبد الناصر ، ومن السادات كذلك في المرحلة الاولى من حكمه. هيكل مستودع الكثير من اخبار الدولة واسرارها. هيكل الامبراطور الصحافي الذي تربع على قمة مجد القلم والكلمة . هيكل الذي اتيح له ان يكتب — في موضوع هذا الكتاب وفي غيره مما كتب وسيكتب — لا كمراقب خارجي يصطاد المصادر ويبحث عن المراجع ، بل كشاهد « من الداخل » ، من داخل السلطة ، من داخل « اللعبة » ، من داخل المسرح السياسي وما فيه من اروقة مثيرة ، واجتماعات خطيرة ، ووثائق ولقاءات مع شخصيات مصرية وعربية واجنبية بيدها الحل والربط .

ومن كتاب « الطريق الى رمضان » نفسه نستدل على مدى اهمية هيكل السياسية فيما يتجاوز — دون ان ينتقص — اهميته الصحافية . ففي العام ١٩٦٨ ، وحينما اصيب الرئيس عبد الناصر بأزمة قلبية خطيرة ، الف عبد الناصر لجنة سداسية للاشراف على تسيير ادارة البلاد، برئاسة انور السادات ، وعضوية شعراوي جمعة ، والفريق محمد فوزي ، وسامي شرف ، وامين هويدي ، ومحمد حسنين هيكل . وعندما ابدى هيكل اعتراضه على الاشتراك في اللجنة ، قال له عبد الناصر بحضور السادات : « انت تعرف الخطوط الاساسية لتفكيري . ان الاخرين كلهم يشغلون مناصب رسمية ، اما انت فتعرف الطريقة التي يعمل بها عقلي ، ولذا فاني اريدك في هذه اللجنة » .

الميزة الاولى للكتاب اذن تكمن في شخصية الكاتب نفسه الذي تابع اجتماعاته مع عبد الناصر ثم مع السادات وكبار المسؤولين السياسيين والعسكريين ، ومع الشخصيات الاجنبية ، طيلة الفترة التي « يؤرخ » لها ، بل وخلال الايام والليالي التي شهدت حرب رمضان نفسها بما فيها من تفجرات وحالات صعود وهبوط . اذن فنحن امام كاتب جيد ، ومطلع جيدا ، ورافق بنفسه مجريات الكثير من الاحداث التي يعرض لها ، راصدا ذكيا ومتابعا ثاقب النظر .

ثانيا : والسبب الثاني لاهمية الكتاب مقارنا بسواه من المؤلفات عن حرب رمضان ، يتمثل في سلامة المقترب وصحة المدخل . فالكتاب لا يقفز الى حرب رمضان وكأنها انجاز مقطوع الصلة بالزمان والمكان ، بل يتناولها بدءا من نقطة الانطلاق الصحيحة التي كان ينبغي البدء منها ، وهي حرب ١٩٦٧ ومخلفاتها وذيولها والقرارات المستجيبة لها .

وتبرز اهمية هذه الميزة ، اذا ما القينا نظرة على ذلك الركام الغريب من ادبيات حرب رمضان الذي يتعمد لاسباب سياسية محضة ومكشوفة ، الكتابة عنها وكأنها نوع من النبت الشيطاني المدهش الذي يطفو فجأة فوق الصخور بلا جذور او مقدمات . ولعل هذا هو سر الحملة التي انفجرت في وجه هيكل كما يشير في المقدمة التي وضعها للنسخة العربية المترجمة . فهيكل يحاول ان يعيد « الفضل » الى اصحابه ، احياء كانوا ام اموانا ، في السلطة ام خارجها ، سياسيين او عسكريين » عبر مرحلة ممتدة من الزمن استغرقت ست سنوات ونيف من الاعداد العسكري والسياسي والاعلامي والاقتصادي ، بدءا من حرب ٦٧ الفاجعة ، ومرورا بالاعوام الثلاثة الاخيرة من عمر عبد الناصر التي قضاها مشغولا ليل نهار بالتهيئة لها ، وانتهاء بعهد السادات وقرار اكتوبر المشترك مع الرئيس الاسد في سوريا .

ثالثا : والميزة الثالثة في الكتاب انه ينطلق من افق شامل لا يحصر جهده في اطار الحرب بمعناها العسكري الضيق كقتال وخطط وتسليح